معالم فن السيرة الأدبية الذاتية عند الأمير عبد القادر" دراسة في مذكراته (السيرة الذاتية) بالموازنة مع تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر "لابنه الأمير محمد "

Landmarks of Autobiography in Emir Abdelkader's Writings. A Study in His Memoirs compared to *«Tuḥfat A-zzāir fi Ma'āthir al-Amir Abdelqadar »* and *«Akhbār Al-Jazāir»*

الدكتور عبدالعزيز شويط

جامعة جيجل

الملخص : يتناول هذا المقال دراسة مساهمة الأمير عبد القادر و ابنه محمد في فن السيرة الذاتية و الغيرية ، الأول من خلال مذكراته و الثاني من خلال سيرته عن التي كتبها عن أبيه . ثم الموازنة بينهما في الحقائق و المعلومات التاريخية و حتى في التقنيات الفنية لهذا الفن الأدبي في عصر الأمير عبد القادر و ابنه.

الكلمات المفتاحية : فن السيرة الذاتية / الأمير عبد القادر / فن السيرة الغيرية / المذكرات / الموازنة

Abstract: This paper highlights the contribution of Emir Abdelkader and his son Mohammed to the art of autobiography and biography. The first's contribution lies in his memoirs and the second's in the biogrpahy he wrote about his father. A comparaison between the two contributions is drawn in terms of the facts, historical data, and artistic techniques that were used in this literary genre at the times of Emir Abdelkader and his son.

Keywords : autobiography- Emir Abdelkader- biography- comparaison

مقدمة

" مذكرات " الأمير عبد القادر (السيرة الذاتية) ، و كتاب" تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر " للأمير محمد بن الأمير عبد القادر(السيرة الغيرية) بجزئيه (السيرة السيفية و السيرة القلمية) وثيقتان أدبيتان أولا و تاريخيتان ثانيا عن حياة هذا الرجل الظاهرة ، بكل ما يمثله من رمزية في حياة الأمة الجزائرية .إذ يمكن لهاتين الوثيقتين أن تحققا التطابق ، كما يمكنهما أن تحققا التقارب فضلا عن الاختلاف مع كل ما كتب عن الأمير عبد القادر و خاصة من قبل الأوروبيين ، النصان بقدر ما يكشفان عن شخصية هذا الرجل الكبير القدر و الأهمية و التأثير ، يكشفان أيضا عن مدى التطور الذي لحق فن و أدب التراجم و السير في الجزائر الحديثة . و عليه ، ما مدى توفر ميثاق الحقيقة – على رأي " فيليب لوجون "– في مذكرات الأمير عبد القادر و هي سيرة ذاتية ؟ ، و ما مدى توفر هذا الميثاق فيما يتعلق بكتاب تحفة الزائر لابن الأمير ، الأمير محمد ، بكل ما تمثله البنوة من علاقة ، و بكل ما تمثله الحقيقة في السيرة من ميثاق ؟ و ما مدى غلبة الجانب النصي على الجانب " الميتانصي" (الخارجي) إن غلب حقا ، في السيرتين معا ؟ مع العلم أن البيئة و التاريخ يمكن أن يدخلا في السيرة و أحداثها ، و لكن ليس إلى درجة الغلبة حتى يغدو النص السيري كلّ شيء سوى السيرة ، على عادة جانب كبير و قسم معتبر من تاريخ سيرنا العربية القديمة

؟ ثم أخيرا هل من تخييل ، و هل من فنية أو أدبية في النص السيري الأميري وفي ما كتب عن الأمير من قبل ابنه محمد مادمنا أمام جنس أدبي قائم بذاته مستقل عن باقي الفنون السردية الأخرى (السيرة) ؟ على الأقل أين نشتم شعرية الكتابة الأدبية في السيرة الأدبية عند الأمير عبد القادر ، على اعتبار أن الرجل أديب و فنان بالدرجة الأولى إلى جانب كونه رجل سيف ؟ .و قبل هذا وذاك ما علاقة السيرة بالتاريخ ؟ و ما علاقة السيرة بفن الرواية ؟ و ما علاقة الرواية بالتاريخ و لو من باب الإشارة الواعية ؟ .كل ذلك من شأنه أن يتكشّف من خلال تناول الجانب اللغوي و الجانب الاصطلاحي لمفهوم أدب و فن السيرة ، و من خلال البحث في مضمون و عتبات و فنيات السيرة في الكتابين اللذين بين أيدينا و لو بشكل مقتضب مختصر يتلاءم و شروط المقالة ، حتى تكون الدراسة نصية تتناول العديد من الدلالات في بعض المضمون و في بعض الشكل .

توطئة لا بد منها / العرب و الغرب و فن السيرة (المعجم اللغوي – الاصطلاح – الدراسة - التأثر)

حين يجري الحديث عن تاريخ حياة شخص من الأشخاص، نجد واقع المعاجم العربية اللغوية و حتى معاجم الموضوعات لا تفرق بين فني السيرة و الترجمة الأدبيتين ، على ما بين المصطلحين من فوارق في المضمون و في الطريقة و في الحجم .، و لذلك تتحدث المعاجم عن الترجمة و هي تقصد السيرة و العكس صحيح ،و أحيانا تستخدم ضمن السطر نفسه المصطلحين للدلالة على شيء واحد و هو أحدهما ، فقد يكون " الترجمة " و قد يكون " السيرة " ، هل يعود ذلك إلى أن كل ترجمة سيرة و ليس كل سيرة ترجمة ؟ ، ربما.

هذا يدل على أن التأليف المعجمي العربي و حتى النقدي لم يكن أحدهما متجاهلا للسيرة كفن أدبي بأي حال من الأحوال ، لأن الثقافة الأدبية العربية القديمة قد عرفت فن السيرة ، عرفته كتاريخ و عرفته كأدب و بشكل عميق ، و زامنته طويلا من خلال أمثلة كثيرة لسير و حتى لدراسات سيرية تناولت هذه السير مؤخرا ابتداء من معاجم العرب المشهورة و حتى القواميس والموسوعات الحديثة ، فمن حيث اللغة ، ورد في لسان العرب لابن منظور أن ((السّير :الذهاب .، سار يسير سيرا و مسيرا وتسيارا و مسيرة و سيرورة (الأخيرة عن اللحياني) ، و تسيارا ، يذهب بهذه الأخيرة إلى الكثرة ... و السّيرة :السنة ، و قد سارت و سرتها ...و السيرة : الطريقة . يقال : سار بهم سيرة حسنة . و السيرة الهيئة . و في التنزيل العزيز : " سنعيدها سيرتها الأولى ")) 1

وجاء في القاموس المحيط للفيروزبادي في مادة:سير:السَّيْرُ :الذهاب كالمسير والتسيار والمسيرة والسيرورة .و سار يسير و ساره غيره وأساره وسار به و سيّره و الاسم السّيرة وطريق مسور و رجل مسور به والسَّيْرة :الضرب من السير...والسيرة بالكسر السنة والطريقة و الهيئة و الميرة))2

أما في الاصطلاح فقد ورد عند جبور عبد النور في " المعجم الأدبي " أن السيرة ((بحث يعرض فيه الكاتب حياة أحد المشاهير ، فيسرد في صفحاته مراحل حياة صاحب السيرة أو الترجمة ، و يفصّل المنجزات التي حققها و أدت إلى ذيوع شهرته وأهلته لأن يكون موضوع دراسة ." فن السيرة هو نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي و الإمتاع القصصي ، و يراد به درس حياة فرد من الأفراد و رسم صورة دقيقة لشخصيته ". (المقدسي ، الفنون ...، ص 547) " و ما يصدق على أقاصيص المازني يصدق على قصصه الطويلة أو رواياته ، فهي أيضا ، رغم امتزاج الخيال فيها بالواقع تعكس لنا سيرته و أحوال مجتمعه" . (المقدسي ، الفنون ... ، ص 368) .السيرة الذاتية : كتاب يروي حياة المؤلف بقلمه ، و هو يختلف مادة و منهجا عن المذكرات و اليوميات ." كاتب السيرة الذاتية قريب إلى قلوبنا ، لأنه إنما كتب تلك السيرة من أجل أن يوجد رابطة ما بيننا و بينه ، و أن يحدثنا عن دخائل نفسه و تجارب حياته , (عباس ، السيرة ...، ص 101) " يفضل المؤلف أن يكتب سيرته الذاتية في

زي روائي مستفيدا من هذه الحرية ، فيجرؤ على أن يدلي بما لم يكن في استطاعته أن يدلي به و لو أنه كتب اعترافا مباشرا " . الآداب، 1975 ، 5 ، 47))3 . و قد آثرنا أن نحافظ على إثبات صاحب المعجم للنصوص التي أوردها للتفريق بين أنواع السير وللتدليل على العلاقة بين السيرة بنوعيها و بين التاريخ من جهة و الرواية من جهة أخرى لما لها من أهمية و الدقة من حيث التناسب في الاستشهاد ، كما آثرنا البدء به في باب الاصطلاح لأنه معجم مدرسي يجمع بين التعريف اللغوي و التعريف الاصطلاحي لأي مادة معرفية يتعرض إليها .

الميزة التي يتميز بها المعجم السابق يشترك معه فيها ما يصدر من معاجم للمجامع اللغوية العربية ، فمن أجل تقريب المعنى تسعى المجامع اللغوية من خلال ما تُصدره من معاجم إلى الجمع بين اللغة و الاصطلاح في تحديد المفهوم ، و لذلك يجمع معجم مجمع اللغة العربية بالقاهرة بين التعريف اللغوي و التعريفات الاصطلاحية المبثوثة هنا و هناك و يدلي بدلوه في توضيح ماهية هذا الجنس الأدبي مستخدما فلسفة المجمع في الربط بين الدلالة اللغوية للجذر و الدلالة الاصطلاحية فيقول : ((السيرة ـــ السنّة و الطريقة والحالة التي يكون عليها الإنسان و غيره . و السيرة النبوية ، و كتب السير : مأخوذة من السيرة بمعنى الطريقة ، و أدخل فيها الغزوات و غير ذلك . و يقال : قرأت سيرة فلان : تاريخ حياته (ج) سير))[4] و الملاحظ أن معجم المجمع يأخذ بعين الاعتبار التاريخ الأدبي في تحديد التعريف و هو ملازمة المغازي للسير على مر العصور الأدبية التي أنتجت سيرا ، و لكأن السيرة حكرا على رجال السيف في بداية أمرها إلى ما قبل العصر الحديث بقليل ، ثم امتدت إلى أعيان الجهات و أصحاب المذاهب و غيرهم،و لذلك مالت نحو كثرة السير الذاتية للأدباء و العلماء و أرباب الفكر ، و لذلك فقد ضمت هذه الحقب التاريخية سيرا غيرية كما ضمت سيرا ذاتية . ((لا نكاد نمضي بعد القرن السابع الهجري حتى تكثر التراجم الأدبية و العلمية ، و خاصة عند العلماء الذين يؤلفون كتب الطبقات ، فقد أصبح سنة فيما بينهم أن يترجموا لأنفسهم بجانب ترجماتهم لغيرهم))5 ، و لكن ، أي السيرتين أسبق ظهورا ؟ و ما هي الأسباب التي جعلت هذا النوع أسبق من الآخر ؟ . الحق أن ((السيرة الغيرية أسبق زمنًا من السيرة الذاتية؛ لأنها ظهرت مع ظهور التأريخ والأدب .فمنذ ظهور الحضارات، ظهر الكثير من الرجال الذين يعيشون في بلاط الحكام والسلاطين، فراحوا يدونون ما كان يحدث في زمانهم من تطور ونماء، فأرخوا للسلاطين والملوك، وللحروب والمحاربين ورجالات الدول، وإن معظم هذه الأعمال تنطوي تحت مفهوم السيرة الغيري))6 ولعل مرد ذلك إلى احتكار رجال السياسة و الغزو لهذه السير موضوعا ، و بالنظر إلى انشغالاتهم يكتب الناس عنهم قبل أن يكتبوا عن أنفسهم ، ثم أنهم في الأصل غير كاتبين ، فكيف يكتبوا عن ذواتهم ؟ ، على الأقل تم ذلك في المراحل الأولى لظهور فن السير بغض النظر عما رأينا من تقدم لاعترافات القديس أغسطين وغيرها ، إذ الحقيقة أن السير الغيرية كانت قبل هذه بوقت طويل .

لقد كان العالم في حاجة ماسة إلى سير أرباب الفكر و العلم و الأدب كحاجته لسير أرباب السيف و المغازي ، فالإبداع انتصار على الجهل و التخلف و بطولة في ميادين التقدم ، و من أجل ذلك ((أتاح الاهتمام السيري بالأدباء لأن يكون هؤلاء ، وبشيء من التوسع ، شهودا على التراث الاجتماعي الذي طبعهم بطابعه ، و عمل على إدخال السيرة ذات الصدقية – رغم كونها موجهة بالطبع – إلى الأدب)) 7 و هو ما سنقاضي به ـ الصدق ـ السرة الذاتية للأمير عبد القادر و حتى السيرة الغيرية المتعلقة به ، و خاصة حين يكتبها ولده ، من خلال اختلاط الحقيقة التاريخية بالمخيال الأدبي و المبالغة التي تفرضها العاطفة الأسرية، و كيف خرجت هاتان السيرتان صافيتان من هذا الفرث و الدم لتكون نصا أدبي سيري خاضع لمعايير الفنية من جهة ولمعايير الصدق من جهة ثانية ، فكتابة الأنا[8] ليست ككتابة الآخر ، و لكنّ هاهنا نوعية أخرى من ثنائية الأنا و الآخر في كتابة

الذات ، حتى لتصبح السيرة غيرية كتابة للذات بدورها ، أعمق بكثير من العلاقات المعروفة فالمواطنة و الروابط الدينية و الجهوية والعقائدية و الإيديولوجية و الجنسية و غيرها ، إنها علاقة الوالد بولده .

سنأخذ مثالا آخر في التعريف الاصطلاحي و لكن هذه المرة سيكون المثال ممثلا للمعاجم النقدية الأدبية و هو معجم المصطلحات الأدبية الذي يقول فيه صاحبه ابراهيم فتحي :((السيرة الذاتية سرد قصصي يتناول فيه الكاتب نفسه ترجمة حياته الخاصة . و يحاول كاتب السيرة الذاتية أن يعرض حكاية مستمرة لما يعتبره أكثر أحداث حياته أهمية و دلالة . و لا يكشف كاتب السيرة الذاتية عادة إلا تلك الأوجه التي يريد أن يتذكرها الناس و يعرفوها . و تشبه السيرة الذاتية أشكالا أدبية متعددة مثل " الترجمة الشخصية و اليوميات و أدب المراسلات و الذكريات .))9

و في الأخير نهتدي بإحدى المحاولات الدراسية الجادة و المبنية على تحليل النص السردي السيري في العالم العربي من خلال نماذج عربية حديثة و معاصرة ، محددة (هذه الدراسة) السردية و النثرية و هما المجالان الجنسيان اللذات تتحول بينهما السيرة بكل أنواعها ، و هذه الدراسة للدكتور محمد الباردي يقول فيها : ((أن تكون السّيرة الذّاتيّة حكيا استعاديّا، فتلك حقيقة ثابتة. لا شكّ أنّ الحكي كما بدا لنا في مدوّنتنا العربيّة درجات، يبلغ أقصاه في السّيرة الذّاتيّة ذات الشّكل الرّوائي ويصل درجته الدّنيا في السّيرة الذاتيّة ذات شكل أدب الوقائع (عبد الرّحمان بدوي) وبدرجة أقلّ في السّيرة الذّاتيّة ذات شكل الرّسم الذّاتي. ولكن مهما كانت درجة الحكي فإنّنا في السّيرة الذاتيّة إزاء جنس سرديّ بامتياز ولكنّه سرد استعادي يكون فيه الحاضر زمن السّرد والماضي زمن التّجربة.

3 ــ و هو كذلك جنس سرديّ نثريّ، فلم يبلغ إلى علمنا إلى حدّ الآن من كتب سيرته الذّاتيّة شعرا والشّعراء أنفسهم يكتبون سيرهم الذاتيّة نثرا (مثال: فدوى طوقان) ثمّ إنّ الشّعر بحكم طبيعته في العصر الحديث قد لا يحبّذ سرد تفاصيل الحياة الخاصّة باعتباره جنسا أدبيّا استقطابيّا. ثمّ إنّ السّير الذّاتيّة الشعريّة في الأدب العالمي هي محدودة جدّا بالمقارنة مع السير الذّاتيّة النثريّة ونعتقد أنّ مدوّنة السيرة الذاتيّة العربيّة لا تخرج عن هذه القاعدة العامّة.))10

لا يُغرّ المطلع على هذا التعريف المتسم بالشمول أنه يعبر عن نضوج في فن السيرة بجميع أنواعها و تجلياتها و أشكالها عند العرب طبقا لهذا التعريف ، فالتعريف لا يخلو من تأثر بالدرس النقدي الغربي لفن السيرة ، و لربما كان هذا التعريف من حيث الشمول و الاستيفاء يعبر عن فن السيرة عند الغرب أكثر من تعبيره عن هذا الفن عندنا نحن العرب .

عند الغرب و من خلال معاجمهم للمصطلحات و كذا موسوعاتهم الأدبية و النقدية يتضح أكثر فن السيرة بجميع أشكاله ، والأمر لا يعزو إلى سجال في عراقة هذا الفن عندنا و عندهم ، و إنما مرد الأمر إلى النتائج و كما قيل العبرة بالنتائج ، و النتائج مفضية إلى عمق الكتابة السيرية الغربية إبداعا و نقدا ، فعندهم (الغرب) ((السيرة هي النوع الموقوف على رواية سيرة حياة لا تمتزج فيها الحكاية مع شخص الكاتب . السيرية هي مجموع الأنواع التي تقدم لنا حكايا حياة (سيرة، ذكريات ، يوميات ، سيرة ذاتية ...))11

هتشسون في معجم الأفكار يركز على الترتيب الزمني من جهة و على الحقيقة التاريخية من جهة ثانية في كتابة السيرة بنوعيها الذاتي و الغيري فالسيرة عنده على النحو التالي : ((سيرة biography هي ترجمة لحياة شخص ما يكتبها غيره ، و عندما يكتبها بقلمه عن حياته تسمى سيرة ذاتية autobiography .و تتكون السيرة من تفاصيل و حقائق عن حياة شخص ما مرتبة تاريخيا ،و تتضمن تأويلات علاوة على الدقة التاريخية . و كثيرا ما أدت السير (غير الموافق على موضوعها) و غير الرسمية إلى نزاعات قانونية متكررة بسبب التفسيرات،والحقائق والتأويلات))12

لم يكن الصدق في الحوادث التاريخية هو الشغل الشاغل للدراسات الغربية المتعلقة بالسيرة : الذاتية و الغيرية منها ، وإنما علاقة السيرة بالتاريخ من جهة و بالرواية من جهة ثانية ، و حتى علاقة الرواية بالتاريخ ، هي الموضوع الأكثر تناولا في علاقة العلمي بالفني ، التاريخي بالأدبي ، الحقيقي بالخيالي ، و منه فإن ((العلاقات بين السيرة و السيرة الذاتية ، و العلاقات بين الرواية و السيرة الذاتية ، و هي قضايا مقلقة بسبب تكرار البراهين و بسبب الغموض الذي يكتنف المصطلح المستعمل ، ثم بسبب اللبس في إشكاليات مستعارة من مجالات لا رابط بينها ... و بعد تعديل طفيف ، سيصبح حد السيرة الذاتية كالآتي :الحد :حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص ، و ذلك عندما يركز على حياته الفردية و على تاريخ شخصيته ، بصفة خاصة))13 و مع ذلك فاصدق المفضي إلى الحقيقة التاريخية شرط قابلية السيرة الذاتية ، فهي وسط بين العنصر التخييلي وطغيان الحقيقة الخطابية، حتى ليحال الأمر إلى محاكمة أخلاقية قبل الإحالة إلى المحاكمة الحقيقية كما يحدث في الكثير من حالات كتابة السيرة الغيرية و ما ينتج عنها من حالات عدم الرضا عن هذه السيرة ، و لذلك يمكن القول أن ((هناك معيار آخر يجب أخذه في الحسبان هو التمييز بين المقصد الانعكاسي (الراوي يتوجه إلى نفسه)، وبين المقصد المتعدي (الراوي يتوجه إلى شخص ثالث). وضع المقصد المتعدي هو بوضوح المجموعة التواصلية الطبيعية، ولكن بعض الأجناس مرتبطة بوضع المقصد الانعكاسي: المذكرات الخاصة، وبعض الكتابات الشبيهة بالسيرة الذاتية، مثل السيرة الذاتية التقوية القائمة على مبدأ تجربة تحليل أخلاقي ذاتي غير موجه إلى شخص ثالث، واختبارات الشعور... إلخ.))14

و بشكل مدرسي أكثر وضوحا نخلص إلى الاستعمال الواقعي للسيرة اليوم بغض النظر عن صحة المفهوم و شموليته من عدمهما ، يمكن القول ((و تعني لفظة " سيرة " اليوم حسب الاستعمال :

أ- تاريخ إنسان (مشهور عموما) مروي من طرف شخص آخر (و هو المعنى القديم و الأكثر شيوعا)

ب – تاريخ إنسان (غامض عموما) مروية شفويا من طرفه لشخص آخر أثار أثار هذا التاريخ من أجل دراسته (منهج السيرة في العلوم الاجتماعية)

ج – تاريخ إنسان (مروي من طرفه لشخص أو أشخاص يساعدونه ، عن طريق سماعهم ، على التوجه في حياته (السيرة التي تشكلها) . و يقر فيليب لوجون بأنه كان عليه أن يأخذ بعين الاعتبار مثل هذه التعددية في المعنى أثناء استخدامه للفظة " السيرة الذاتية "))15

لقد تعمق الغربيون في فلسفة السيرة فضلا عما رأيناه من تفرعاتها و أشكالها و تمظهراتها ، و تعمقوا أيضا في كل حيثياتها ودوافعها النفسية ، فـــ ((السيرة هي أولا نوع " دوكسي " بامتياز :أدباء يكتبون حياة (قديسين ، أعيان ، فنانين ، أدباء) لإبراز قيمة هذه الفئة أو تلك من الناس ، مهنيين أو اجتماعيين أو للتعرف إلى من يعتبرون محركين حقيقيين للتاريخ (أو لتاريخ ، تاريخ الأدب مثلا) .السيرة هي أيضا نوع مثير للجدل ، إما تقريظي ...و إما للوم والتقريع عندما تهدف إلى تحديد مسؤولية شخص ما عن حدث ما ... و تعتبر أحيانا نوعا أدبيا و يعتبر كاتبوها أدباء))16

لعل الأمر الذي سنلاحظه فيما بعد من تسمية السيرة الذاتية بالمذكرات حسب الطبعة التي تم الاشتغال عليها و هي معروفة الظروف وسياق العثور عليها و إهدائها كمخطوط ، و كل ذلك في كنف أفراد غربيين لأنها وجدت في قبو منزل أحد الفرنسيين، ومنه نرجح أن ورود اسم " مذكرات " ليس هو من وضع الأمير ، و إنما أقحمت على عنوان النص المخطوط ، فالثقافة العربية لا تسمي السيرة بالمذكرات [17]، و حتى الذين درسوا السيرة الأدبية الذاتية و تطرقوا فيها للمذكرات أخذوها من الغربيين ، ولذلك فالفروق بين السيرة الذاتية و السيرة الغيرية والمذكرات أو اليوميات واضحة المعالم عندهم [18].، و حتى و إن كانت هذه التسمية

من وضع الأمير فلا يخلو الأمر من تأثر للرجل بالآداب الغربية ومصطلحاتها . و قد تم التأكيد على العلاقة الوثيقة و شبه التطابق بين السيرة الذاتية و المذكرات أو اليوميات ، ((و نستطيع أن نلاحظ أن تعريفات هذه الأشكال أيضا لا تحتوي على تعريف جامع مانع للسيرة الذاتية ، لأننا لا نستطيع أن نعد كل عمل يجمع بين التحري التاريخي ، والإمتاع القصصي سيرة ذاتية ، فالتاريخ نفسه في بعض الحالات ، حين يصوغه مؤرخ أديب نجد فيه عنصر الإمتاع القصصي ، كما أن مادة السيرة الذاتية لا تختلف عن مادة المذكرات أو اليوميات ، بل على العكس ، فمن المستحب أن يكون لصاحب السيرة الذاتية مذكرات أو يوميات تعينه عند كتابة سيرته على تذكر الأحداث التي مرت به قديما))[19].

أيضا يمكن الاستئناس بعدة تعريفات للمذكرات ، فنجد مثلا ((إن مفهوم " المذكرات "ليس" مفهوما "لكل العصور،فمن يقول "مذكرات"إنما يعني نظرة إلى الوراء أو على الأقل نظرة خارج النفس للبحث عن شهادة حول حقيقة زمنية: التاريخ، فرديا أو جماعيا أوتسلسل الأحداث... إن مفهوم" المذكرات"– و هي قصص حياة أو شهادة عن حدث – يتطلب بالضرورة فكرة عن تطور الماضي و منظورا عن تجربة متنامية و ليس دوريا أو مكررا حتى يسمح بمسافة تقطع ، سواء أكانت داخلية أم خارجية لدى الشخص الذي يفكر به ... إن المذكرات يصنعها التاريخ في مرحلة أولى تحت شكل " وقائع " أو " رسم المجتمع " أو " شهادات". إن الفكرة التي تقول إن لكل إنسان تاريخا ليست معاصرة لتلك التي ترى أن التاريخ يذكر فيه كل الناس و أننا لا يمكن وصفه))20 و هذا التعريف يركز على معاني الشهادة و الحقيقة و الترتيب الزمني والاستذكار،أي الرجوع إلى الماضي .

بل يمكن التفصيل أكثر في نفسية راوي المذكرات ، كما يمكن التمييز بين أنواعها ، فهي على كل حال كما يذهب إلى ذلك الدكتور محمد صابر عبيد : ((المذكرات حكي استرجاعي يقوم فيه الراوي المذكراتي بوصفه مشاهداً بمراجعة مدوّنات سبق وأن سطّرها في ظروف معيّنة، فيعيد كتابتها برؤية متكاملة تتجه إلى التاريخ والأحداث والموضوعات والقضايا، أكثر من اتجاهها إلى البناء الشخصاني للراوي كما هو الحال في السيرة الذاتية أو الغيرية، إذ يقتضي البناء السيري التزاماً بحدود الشخصية في خصوصياتها الذاتية وفي خروجها إلى الأحداث والموضوعات والقضايا.

وفي المذكرات يكون الراوي أكثر حرية في سرد مرويات معيّنة وإغفال أخرى على النحو الذي يطابق سياستها وغايتها المرجوّة، قياساً بتلك الحرية التي يتمتّع بها الراوي السيري "الذاتي والغيري"، وتخضع لاشتراطات فنية وموضوعية معيّنة. لكن ذلك لا يمنع حصول الكثير من التداخلات أو التقاطعات أو الالتحامات أو التوافقات بين السيرة بنمطيها والمذكرات، كما أن المذكرات يمكن أن تكون ذاتية ويمكن أن تكون غيرية أيضاً، ولا تكون فيها عملية الاسترجاع طويلة ومتكاملة كما هو الحال في السيرة الذاتية، بل يجب أن تكون قصيرة.

المذكرات الشفويّة سرد شفوي مرتجل يعتد فيه السارد الشفوي اعتماداً كلّيًا وآنيًا على نشاط الذاكرة وفاعليتها منسجمة مع قصر عملية الاسترجاع، إذ يروي السارد مشاهداته الشخصية في ظل الحدث المعاصر والتاريخ، منصرفاً إلى الحدث أكثر من انصرافه إلى ذاته، على أن يبقى الخيط قائماً بينهما.

وهي تختلف عن المذكرات المكتوبة في أسلوبية السرد ودقّة المعلومات وانتظامها، إذ تروى المذكرات الشفوية بطريقة حكوائية من خلال وسيلة بثّ تصل الكاتب بجمهور المتلقين، إما على نحو مباشر وجهاً لوجه، أو عن طريق الإذاعة أو التلفزة، أو أية وسيلة اتصال أخرى تحقق وجود راوٍ ومروي له، في حين يتم التواصل في المذكرات كتابياً.))21

طبيعة العتبات (العنونة) بين السيرة الذاتية للأمير (المذكرات) و تحفة الزائر لابنه محمد .

العنوان الأكبر (الرئيس) في هذا العمل أو ذاك قد يكون من وضع المؤلف ، و قد يكون من وضع الناشر أو المحقق في حال الكتاب المطبوع ..الخ ، و في حال مذكرات الأمير عبد القادر (السيرة الذاتية) ورد في الغلاف بحسب طبعة وزارة المجاهدين بمناسبة الذكرى الخامسة والأربعين لعيد الاستقلال و الشباب عنوان " مذكرات الأمير عبد القادر" و في داخل الكتاب ورد العنوان ذاته " مذكرات الأمير عبد القادر " وتحته عنوان فرعي نصه "سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849 تنشر لأول مرة " ولست أدري من أين جيء بهذا العنوان " المذكرات " ؟ وحتى في الصفحتين اللتين صورهما المحققون الكرام لم ترد كلمة المذكرات و لم يرد حتى العنوان أصلا ، فهي (المخطوطة) تبدأ بـــ "بسم الله الرحمن الرحيم "و تنخرط في المقدمة أو الخطبة مباشرة . على الرغم من أن المحققين يذكرون أن ما ورد على ظهر الصفحة الأولى من المخطوطة التي نشرتها وزارة المجاهدين هو عبارة " تاريخ الأمير عبد القادر نسخة مخطوط السيد الحاج مصطفى بن التهامي كتب بعضه بخط الأمير 1849 " والأجمل في هذه العملية بالذات أن المحققين الكرام واعين بالبعد التجنيسي لهذا النص الأدبي ،مفرقين بين المذكرات التي تكتب على مدار السنين وبين السيرة التي تكتب في أيام معدودة تسترجع الماضي من الوثائق و من الذاكرة ، و فريق المحققين الكرام كانت تسميتهم للنص واضحة جدا ، وهي عندهم سيرة ذاتية و الجهد العلمي في التحقيق لهم طبعا ، و هو ما يؤكده محتوى هذه السيرة التي تم الإطلاع عليه بما أثبته الدكتور عبد العزيز شرف بقوله : ((يمكن القول إن السيرة الذاتية نقل مباشر ، أما السيرة الغيرية – أي ترجمة حياة الآخرين – فإنها نقل عن طريق الشواهد والشهادات و الوثائق ، و شتان ما بينهما ، ثم إن الصفات التي تجعل السيرة الذاتية عظيمة ليست هي الصفات نفسها التي تجعل السيرة الغيرية عظيمة . و في رأس تلك الصفات أن يكون كاتب السيرة الغيرية موضوعيا ، يلمح بسرعة و يفهم بإحكام و يلم الحقائق ، و يحكم عليها ، ويمزجها مزجا متعادلا منسجما ، و يصبغها بأسلوبه . أما كاتب السيرة الذاتية فإنه ذاتي قبل كل شيء ، ينظر إلى نفسه و يسلط أضواء النقد ودقة الملاحظة على شخصيته ، و مترجم غيره يقف موقف الشاهد لا القاضي ، أما مترجم نفسه فإنه يجمع بين الصفتين .، فعلى الأول أن يرتد إلى الخلف لينقل صورة العلم كما كانت معروفة بين معاصريه .)) 22 و هذا ما وقع للأمير عبد القادر حين أملى هذه السيرة على أحد أصهاره (ابن التهامي) وهو في السجن و ليس منذ مبايعته أميرا و قبلف ذلك بأي حال من الأحوال .

و الحق أن هذه الطبعة من المذكرات (السيرة الذاتية) فاخرة على الأقل في غلافها الفاخر ، و قد صدّر لها شيخ النقاد والمؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله ، الذي أفرد لعائلة الأمير عبد القادر مبحث غير قصير في كتابه " تاريخ الجزائر الثقافي "[23] ، كما قدم لها وزير المجاهدين زمن صدور الكتاب أول مرة سنة 1983 الدكتور عبد المجيد مزيان وزير المجاهدين آنذاك كما احتوى الكتاب على مقدمة المحققين أيضا .

طبيعة العناوين في هذه السيرة الذاتية المذكرات تختلف كثيرا عن سيرة الأمير محمد لأبيه ،ذلك أن ما غلب على عناوين التحفة لفظ" ذكر كذا وكذا "وهو لفظ تراثي ظل لصيقا بمنتجات الثقافة العربية في عناوين الأبواب و الفصول و المباحث و حتى الرسائل في مجملها منذ فجر الشعرية الكتابية العربية ، بينما العناوين في المذكرات فهي في أغلب الظن من وضع المحقين و لا يمكن التعليق عليها لأنها إطار ميتا نصي لا علاقة له بمتن النص بل هو خارجي مساعد .و يمكن حساب تكرار كلمة ذكر في عناوين المباحث داخل السيرة التحفة بجزئيها فهو قد بلغ 136 عنوانا لمبحث من مجموع عناوين المباحث الكلية والمقدرة بـــ 159 عنوانا لمبحث .

تبقى التحفة بجزئيها ، و هو عمل كامل النسبة لصاحبها الأمير محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري و قد اعتمد على عنوان طويل نسبيا يحاكي ما ساد عند العرب في فن العنونة للكتب و الرسائل المؤلفة " و هو يشبه إلى حد بعيد عنوان كهذا مثلا " نفح

الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيره لسان الدين بن الخطيب " ليس فقط من حيث المحتوى المتشابه والمتعلق بالكوزموغرافيا (الجغرافيا التاريخية للأندلس) والمتعلق بالسيرة الذاتية للسان الدين بن الخطيب ، الفارق هو في تقديم المقري في العنوان للأندلس على صاحب السيرة ، و تقديم صاحب التحفة للأمير صاحب السيرة على الجزائر ، و لقد احترم المقري الترتيب الوارد في العنوان فبدأ بالأندلس و طبيعتها و جغرافيتها و تاريخها و سير أعيانها أو سيرها الصغرى لينتقل إلى السيرة الكبرى سيرة لسان الدين بن الخطيب تماما كما احترم الأمير محمد الترتيب في التركيب الإسنادي للعنوان فبدأ بالمغرب و الجزائر ثم انتقل إلى الأمير عبد القادر كما سنلاحظ في محتوى السيرة التحفة .

بقي لنا التنبيه على هذه الوزن في الموسيقى الداخلية المسجوعة للعنوان في شكل تكرار لحرف الراء كما تكرر حرف الباء في عنوان النفح،يضاف إلى ذلك التصاعدية في مقاطع الفواصل فالمقطع الأول قصير"نفح الطيب/وتحفة الزائر"والمقطع الثاني أطول نسبيا"من غصن الأندلس الخصيب/ في مآثر الأمير عبد القادر"و المقطع الثالث أطول من المقذعين السابقين عند المقري و لكنه عند الأمير محمد في التحفة أقصر " و ذكر وزيره لسان الدين بن الخطيب/ و أخبار الجزائر " و لكنه هنا لم يحدث خرقا موسيقي و لا نشازا لأنه تساوى مع المقطع الأول ، فكان المقطع الوسيط طولا بين قصرين و هو منطق ذوقي مستلذ في عرف البديع .

أثر البيئة في العنونة مبحث شريف على رأي العقلية التراثية ، و لذلك عنوان مثل هذا العنوان لابد أن تظهر فيه آثار البيئة سواء البيئة الواقعية أم البيئة المتخيلة ، فالتحفة تدل على الغنى و الجاه و السلطان و الإمارة لأن الأغنياء هم من بإمكانهم الحصول على التحف و في التحفة دلالة المتعة و الأريحية و الطرب و من ألفاظ حقلها الدلالي علو الذوق و الطرب الوجداني و الإحساس بالجمال و الشرف و الزيارة تحمل دلالة الشوق إلى الوطن و الغربة عنه و الرغبة في زيارته كما تحمل دلالات التصوف في الزيارة و المجاورة لدى المولديات العربية أندلسيها و مغربيها و حتى مشرقيها ، فالحس الصوفي لا يفارق صاحبه ، إما لباطنيته ، و إما بارتباطه بالتجربة الروحية الوجدانية ، و ذلك سبيل كل سيرة أو ترجمة تتعلق بأشخاص وثيقي الصلة بالتصوف ، ((ومن أهم ما يميز هذه التراجم أنها تصور لنا سلوكهم و تضع تحت أعيننا كثيرا من تجاربهم التي تعد في جوانب منها غريبة و خاصة حين يتحدثون عن كراماتهم و مكاشفاتهم و ما عرض لهم من الأحوال ... و هم في ذلك إنما يصفون أنفسهم ويعرضون سيرهم و قد يعرضونها شعرا ، و قد يعرضونها نثرا أشبه ما يكون بالشعر ، ففيه الإبهام و الغموض ، و فيه هذا التطلع الحالم إلى أشعة الذات العلية . و لعل ذلك ما يجعل قراءة هذه التراجم محببة إلى النفس ... وهي مجاهدات و تجارب بدأت منذ رابعة العدوية و معاصرها إبراهيم بن أدهم))[24] .و هو ما جعلنا نختاره – المضمون الصوفي – كمثال على المحتوى المضموني الديني . انظر مثلا حين يعلق المحققان على كلمة " الأغيار" ذات البعد الصوفي و قد ردت في بداية الفصل الرابع من المذكرات فيرجعاها إلى تصوف الأمير بقولهما :((الأغيار : ج غير . يقال غير الدهر أحواله ،و أحداثه المتغيرة ،و الأغيار : الحالات النفسية أو غيرها . و الأمير يلمح بها إلى المعنى الصوفي الذي عبر عنه في" المواقف " عند تفسيره لقوله تعالى " هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن " بقوله : " محق تعالى بهذه الآية ... الأغيار كلها لأن كل ما يصح أن يعلم و يخبر عنه بالشيئية لا يخرج عن هذه المراتب الأربع (ج 1 ص 59))[25]

كما نجد ذلك في المآثر تعني المفاخر و الفروسية و ذلك الرصيد الغنائي الوجداني من شعر الفخر و السيادة و الحماسة عند العرب ، كما ترجع إلى النسب الشريف و الافتخار بالأجداد و الأمير فارس و أمير و شاعر و متصوف و متدين و حاج لبيت الله الحرام زائر لقبر النبي ص ، والأمير يعبر عن إثبات الصفة الشرعية المتولدة عن البيعة للأمير ، و ذكر الاسم له دلالة عظمى حكاها المتنبي في مدحياته للأمير خسرو شاه ، و في لفظ الأخبار معاني الشوق و الحنين و ألم الفراق للبلد الذي خلفه الأمير عبد القادر

وراءه كما خلف النبي مكة وراءه و من حين لآخر يسأل عن البلد الأمين،ولفظ الجزائر أيضا له دلالة التشخيص للوطن،ولذلك كان العنوان معبرا عن بيئة الكاتب و بيئة المكتوب عنه ، بيئة الشرف الأميري والقدسية الدينية في الزيارة النبوية و بيئة السمو والغنى النفسي الروحي و المادي عند الأمراء و بيئة الإحساس بالجمال و الشرف و السمو عند الأمراء و السادة و القادة و بيئة المآثر و المفاخر عند الأمير الفارس الشاعر فخر الجزائر و العالم العربي و كل عالم حر ثائر . هذا هو العنوان وهذا هو أثر البيئة في هذا العنوان على الأقل هي بيئة الأمير عبد القادر كأمير و إن آل مصيره إلى سجن لمبواز .

الاستشهادات التي غص بها النص السيري في سيرة الأمير الذاتية (المذكرات) أغلبها ممثلا للبيئة الدينية و العقائدية للأمير ، و مثلما رأينا التصوف من خلال العنوان نرى الدين من خلال الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية التي يمتلئ بها النص السيري ، كما نجد الكثير من الآثار الدينية و أقوال السلف الكرام ، و من الطبيعي أيضا أن يبان الموروث الأدبي في هذه السيرة فالأمير عبد القادر شاعر و أديب و لكن مسيرته السياسية و الحربية فاقت مسيرته الأدبية فقد قاوم فرنسا من سنة 1833 إلى سنة 1847 من بيعة الأمير إلى نشاطه و إنجازاته إلى معاهدة دميشال إلى معركة المقطع إلى سقوط معسكر إلى معاهدة تافنة إلى نهاية الإمير ، و هي كلها مباحث تتبع التسلسل الزمني في مرحلته الكفاحية يمكن الاستفادة منها في التسلسل الزمني الحاصل في السيرتين الذاتية للأمير و الغيرية لابنه محمد ([26])، و لذلك كثيرا ما ينحاز دارسو السيرة الكتاب إلى كاتب مثلهم حتى وجدنا و كتاب فيليب لوجون الرائع " السيرة الذاتية – التاريخ و الميثاق " اقتصر في فصله الأخير على علاقة السيرة بالتاريخ الأدبي و هو ما لم تركز عليه لا تحفة الزائر للأمير محمد و لا المذكرات للأمير عبد القادر و إلا لكانت إفادتنا من هذا الكتاب عظيمة ، إذ لم تنقل لنا مسيرة الأمير الأدبية بأشعارها و رسائلها ، و لذلك يمكن الاستئناس بقول الكاتب عن الطابع الغنائي في السيرة و عن حضور المخيال الأدبي في سير الأدباء : ((إن السيرة الذاتية شكل آخر ينضم إلى الرواية من خلال مجموعة من التحولات غير المحسومة ، فأغلب السير الذاتية تكون ملهمة باندفاع إبداعي ، واسع الخيال نتيجة لذلك ، يدفع الكاتب إلى عدم الاحتفاظ من أحداث و تجارب حياته إلا على تلك التي يمكنها أن تدخل ضمن بناء نموذج مبين)) 27 .

حجم المحتوى النصي و المحتوى الميتا نصي في مذكرات الأمير (السيرة الذاتية) بحساب المباحث .

كان بالإمكان أن تكون العملية الحسابية التي سنجريها بخصوص المحتوى الميتانصي في السيرة و حتى في تحفة الزائر معتمدا على عدد الصفحات ، و لكن الصفحات المرفقة بالهوامش الغنية من قبل المحققين فيما يخص المذكرات لا تعطي نسبة حقيقية عن حجم المحتوى و لذلك لجأنا في عدد المباحث مهما يكون حجم هذا المبحث أو ذاك،إذ العبرة بالاهتمام و الاهتمام يحدده المبحث وحتى المبحث الدال عليه العنوان المرصود له .

ففي مذكرات الأمير عبد القادر (السيرة) [28] كانت المقدمة فمبحث ذكر الفصول التي يحتوي عليها الكتاب .و كان الفصل الأول في نسب الأمير عبد القادر 09 عناوين (مباحث) 05 مباحث فقط لها علاقة بالسيرة و البقية عناوين ميتا نصية .تتعلق بالمذاهب و مذهب مالك و التعريف به في أصوله و ليس في واقعه في بلاد الجزائر و إلا لكان الأمر مقبولا . أما الفصل الثاني في نسب الرسول و أصل العرب 06 عنوين مباحث ميتانصية كلها .و أما الفصل الثالث في معنى النبوة و الرسالة 09 مباحث عناوين كلها ميتانصية .والفصل الرابع كفاح الأمير عبد القادر 83 مبحث عنوان 79 مبحث ذات علاقة بالنص و أربعة مباحث 04 لا علاقة لهما بالسيرة تتعلق بالشاعر الغزال و حادثة له بملك اسبانيا وأخرى بزوجة هذا الملك في إطار الاستطراد ، واجدة سميت باللطيفة و الأخرى سميت بالطريفة بالإضافة إلى مبحث التذكير بمفاخر العرب وإيفائهم بالعهود و مبحث ذكر " أحلاف" العرب و تنفيذهم لما تعهدوا به ، و إن كان للمبحث الثالث المذكور ما يبرره إلا أن المبحث الرابع بعيد كل البعد عن

جو السيرة . و الحقيقة أن لا السياق المكاني و لا الزماني يفرض استحضار هاتين الحكايتين و هو المنطق الذي جعلنا نعد مثلا فصلا كفصل : " شرح لغوي لمفهوم الجمهورية " من صلب السيرة للعلاقة الواضحة بين الجمهورية الفرنسية و الأمير عبد القادر زمنيا و سياسيا (المعاصرة و العلاقة المباشرة الفاعلة) و لو في المراحل المتأخرة من سيرورة السيرة (نهاية فترة الكفاح العسكري وسقوط الزمالة .

الفصل الخامس في سجايا العرب تكون من 28 مبحث عنوان و هو كما هو مبين لا علاقة له بالسيرة فهو قد تكون من مباحث مينا نصية .

الفصل السادس في نسب الروم القيصرية تكون من 16 مبحثا و هي مباحث ميتا نصية في مجملها .و الفصل السابع في تبيان من اجتمع نسبه من هذه الأجناس و تكون من 15 مبحثا و كلها مباحث ميتا نصية . و أخيرا الخاتمة و جعلها في : عدد الشهور و السنين و في أسمائها عند العرب و العجم و في علامات قيام الساعة و هي 03 مباحث ميتانصية أيضا .

و المجموع بحسب الباحث بحساب المقدمة و الخاتمة كلا بعدد مباحثه تكونت السيرة من حوالي 162 مبحثا كانت المباحث ذات العلاقة بالسيرة حسب منطق السرد و السياق الاجتماعي و التاريخي و السياسي 86 مبحثا و عدد الباحث الميتانصية كان عددها حوالي 76 مبحث . و بالتالي تكون نسبة المباحث السيرية 53.08 بالمئة و نسبة المباحث الميتانصية 46.91 بالمئة .

ومهما يكن عدد المباحث الميتانصية أقل من المباحث ذات العلاقة بالسيرة و لكن المباحث الميتا نصية كادت تصل إلى النصف إذ الفارق أقل من عشرة مباحث وكان المبحث الذي توسط المقدمة ومباحث الفصل الأول مجرد سرد للفصول(مجرد إجمال إحصائي) ومع ذلك جعلناه هو والمقدمة من صميم السيرة وحتى الخاتمة تضمنت 03 مباحث وكانت كلها ميتا نصية.

أما في تحفة الزائر [29] فالأمر لا يختلف كثيرا و إن كانت هذه الأخيرة أكبر حجما في عدد الصفحات مع ما في المذكرات من هوامش المحققين و مع ذلك فقد بلغت 353 صفحة من القطع المتوسط بما في ذلك التصدير و مقدمة المحققين ، و لولا ذلك لكانت التحفة أضعافا مضاعفة للمذكرات ، و هي بجزئيها الأول (سيرته السيفية) و الثاني (سيرته القلمية) قد بلغت 633 صفحة و بدون هوامش و بطباعة قديمة و حجم الخط صغير و من دون علامات وقف و بأكثر من 25 سطر في الصفحة . مما يعني أكثر بكثير من الضعفين هي نسبة التحفة إلى المذكرات .

و بالرجوع إلى نسبة ما هو نصي إلى ما هو خارج النص ، نص السيرة ، نرجع إلى ما قررناه في مبحث العنونة و هو أن المذكرات عنوانها هكذا " مذكرات الأمير عبد القادر " بينما التحفة عنوانها " تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر " على ما لهذا العطف الأخير من دلالة و تسويغ لما سنجده من مواد ميتانصية في هذه السيرة ، و إنما نورد مصطلح السيرة لأن صاحبها كما أسلفنا جعل للجزء الأول عنوانا فرعيا هو " سيرته السيفية " و جعل للجزء الثاني عنوانا فرعيا آخر و هو (سيرته القلمية) و يقصد الأمير طبعا بالسيرتين .و هنا نتذكر بالطبع نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيره لسان الدين بن الخطيب ، و كيف طالت المقدمة في وصف الأندلس حتى غدت كتابا مستقلا عن سيرة ذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب في كتاب نفح الطيب .

في الجزء الأول (السيرة السيفية) و الأمير عرف كرجل سيف أكثر من أي شيء آخر ((و هو القائد المغوار الذي حارب الجيوش الفرنسية بحنكة و خبرة لا مثيل لهما ، و هو السياسي المتمرس ، و العالم الصوفي الفد ، و الأديب المبدع ، و الأب العطوف الحنون ، و العالم الذي يقصده طلاب المعرفة من كل فج قصي ، و الباذل التبر و النفس الغالية من أجل حماية الروح البشرية أينما حل و أقام ...))30 نجد في هذه السيرة السيفية بالإضافة إلى خطبة الكتاب و المقدمة في ذكر جغرافية المغرب ،

وهما مبحثان اثنان ، الأول خطابي و الثاني جغرافي نجد مبحثا آخر في جغرافية بلاد الجزائر و مساحتها و تضاريسها و ما بها من حيوانات و نباتات ، ليصبح عدد المباحث ثلاثة(03) لا علاقة لها بسيرة الأمير عبد القادر ، و نجد بعد ذلك في تاريخ المغرب العربي أدناه و أوسطه و أقصاه إلى استيلاء فرنسا على الجزائر سنة 1838 وبالضبط في الخامس من يونيه كما يحددها الأمير محمد، و نجد كل ذلك في 22 مبحثا جلها في تاريخ دول المغرب و بعضها في ثورات الشعبية للجزائريين على المستعمرين و الغزاة الفرنسيين و غيرهم .

ابتداء من هذا المبحث المذكور و هو استيلاء الفرنسيين على مدينة الجزائر و هو مبحث ذو علاقة وطيدة بالسيرة نعثر على 97 مبحثا كلها تروي أحداثا حول الأمير عبد القادر منذ بويع له بالإمارة و إلى آخر وقائع الأمير عبد القادر في بلاد المغرب الأقصى بعد واقعة بني عامر في نواحي فاس .

الجزء الثاني من السيرة و هي سيرته القلمية تبدأ من نهاية الكفاح العسكري و بالضبط من ركوبه إلى طولون بفرنسا هو وأهل بيته ، وتضمن هذا الجزء 37 مبحثا كلها من صميم السيرة ، بما في ذلك المبحثين الأخيرين و هما : رسائل التعازي و المراثي طبعا بعد موته ، و المبحث الأخير و اسمه الخاتمة في ذكر نسبه الشريف .

و عليه يمكن الجمع بين مباحث الجزء الأول و الثاني من التحفة ليصبح مجموع عدد المباحث بحساب المقدمة و الخاتمة 159 مبحثا ، كان 25 مبحثا منها ميتانصيا و الباقي 134 مبحثا ذا علاقة وثيقة بالسيرة (التحفة) و بالتالي تكون النسبة لما هو نصي 84.27 بالمئة و نسبة ما هو ميتا نصي 15.72 بالمئة .

و الخلاصة في هذا الشق بالذات ألم يطلع الأمير محمد على سيرة أبيه الذاتية أو المذكرات التي أملاها على صهر العائلة ؟ حتى لا نجد تكرارا في المحطات الرئيسة التي أتى على ذكرها الأمير في المذكرات النصية أم غير النصية؟

طبيعة (المضمون) النصي و الميتانصي بين السيرة و المذكرات (التخييل و (الصدقية)

يقول جان ماري شيفير عن شرط التخييل في الآداب حتى تعد أدبا ، و لاسيما عن الاعتدال في هذا التخييل و أن يكون الأدب وسطا بين الخطابية و التخييل : ((إذا كان صحيحاً أن الأدب ركام أكثر من كونه نظاماً محدداً بطريقة مشتركة، فإنه يجب عدم الاندهاش عند اكتشاف أن أسماء الأجناس لا تتواجد جميعها في الجهة نفسها من الحدود: الأدب لا يختزل إلى التخييل ولا إلى أفعال خطابية غير جادة. صحيح أن أكثر أسماء الأجناس الشرعية للتقليد الأدبي الغربي تقوم على المجال اللعبي: علماً بأن بعض الأجناس غير اللعبية مثل الأدب الترسلي، والسيرة الذاتية، والتاريخ، قد دخل ضمن مجال الأدب. كذلك إذا بحثنا عن شروط التغيرات الثقافية إلى ممارسات يعتبرها الغرب أدبية، وإذا قبلنا أن كل نشاط لغوي له أساس اجتماعي وواقعي، أو الذي يفسح المجال لتركيب لغوي متميز يمكن أن يندرج تحت عنوان الأدب، فإننا نرى أنه في عدد كبير من الحضارات، خاصة الشفهية منها، يتضمن المجال المقصود عدة أنشطة غير لعبية، مثل الرثاء، والصلوات، والأغاني الجنائزية، والأمثال، والأناشيد الدينية، والخطب الوعظية. من المفيد تحديد أنه إذا كان التمييز بين أسماء الأجناس المستندة على المجال اللعبي وبين أسماء الأجناس المستندة على ممارسات لغوية جادة، ذا طبيعة وظيفية، فإنها كلها، مهما تكن الوظيفة التي تستند عليها، تستطيع التعريف بظواهر مرتبطة بمستويات أخرى للفعل التواصلي في الوقت نفسه))31

السياق و الهدف الذي كتبت من أجله السيرة الأدبية للأمير عبد القادر يفرض الصدقية و هو سياق الأدب الهادف ، و مع ذلك فهذا ملمح نقدي سياقي ، و هذه آلية سياقية و الأمر يحتاج إلى دليل نصي ، بل و قد تكون هذه الحجة عليه و ليست له من حيث الصدقية ، ولكننا هنا لا نناقش الصدق كمقابل للكذب و إنما الصدق مقابلا للتخييل ، و لكن هذه الحجة ، على كل

حال، تساعد على التدليل على الصدقية و الحقيقة في النص السيري في النصين اللذين بين أيدينا .فلم يكتب الأمير عبد القادر سيرته للمتعة الأدبية ، و عليه فهو ليس في حاجة للتزييف و لا للمبالغة ، و لا للتخييل ، و إنما كتبها للتاريخ و هي ليست بتاريخ ، كتبها للاعتبار و هي نص فني توفرت فيه شروط الأدبية من حيث جمالية الأسلوب ، و مهما يكن أسلوب الأمير جميلا كان بإمكانه استخدام الأسلوب العلمي المستخدم في كتب المؤرخين و الإخباريين ابتداء من هيرودوت و إلى ابن خلدون ، و عليه كتبت السيرة بهدف الدفاع و رد الشبهات و تفنيد الاتهامات ، فهي مرافعة يدافع بها صاحب السيرة عن نفسه في حالة المذكرات و عن والده في حالة السيرة التحفة تؤكدها الحقائق و الشواهد و تحميها ، مصداقية ، آلية التواتر في الحوادث التاريخية انطلاقا مما يشهد به الناس و انطلاقا مما سيكتبه الآخرون .((و في جميع الأحوال ، سواء أكان كاتب السيرة الذاتية صادقا أم كاذبا ، فنحن لا نعد السيرة الذاتية وثيقة تاريخية ، و لكننا نتوخى فيها الصدق لأننا نعدها وسيلة لإقامة جسور من التعاطف والصداقة بين القارئ والكاتب ولكي يستطيع الكاتب أن يكسب ثقة القارئ لا بد أن يلتزم الصدق والصراحة))32.

في حالة الأمير محمد كانت الحرفية و الإغراق في المتوفر من وثائق و شهادات في نقل الحقائق و الحوادث التاريخية حامية له مما يمكن أن تمليه عاطفة الولد تجاه والده مما يتوقع من مبالغة أو زيادة ، و هذا ليس غريبا عمن تصدر للكتابة السيرية ، فـــ ((لعل كثيرا من كتاب السير التاريخية عندنا كانوا أسبق إحساسا بمعنى الاعتدال في الحكم و التقدير ، واضعين الصواب إلى جانب الخطأ حين يتحدثون أو يترجمون لأن " علم الرجال " علمهم أن هناك جرحا و تعديلا ، و أن هناك مرتبة وسطى تجمع بين الجرح و التعديل ، و لذلك لم تكن السيرة مدحا مطلقا أو ذما مطلقا ، بل كثيرا ما كانت تجمع بين هذين في صدق و اعتدال))33 و مع ذلك فهي نصوص أدبية فنية توافرت فيها الجمالية الأدبية ، و إن لم يقصد بها الإمتاع و مع ذلك فقد حققت إمتاع المتلقي .

و لذلك يمكن القول : ((لقد كانت التراجم أو السير في العصر العربي الوسيط ،هي شيء أكبر من مجرد مستودع للبيانات التأريخية للسيرة ، بل ، كانت أيضا أداة للتقريظ و الجدل .فعند كتابة ترجمة ما ، كان المؤلف ، على الأقل تتاح له الفرصة لاتخاذ موقف يتعلق بهيئة الشخص موضع الاهتمام أو بجوانب معينة من حياته . فإذا ما حدث و أصبح كاتب السيرة مدركا لبعض المعلومات التي تثير الجدل فيما يتعلق بشخص ما ، فهل يقوم باستبعادها أم عليه أن يضمنها ؟ و إذا كان عليه أن يضمنها ، ، فكيف يعرضها ؟))34 هذا عن العصور السابقة عند العرب ، و هو نفسه ما يمكن أن يتحقق عند بقية الأمم و منها الغرب ، فـــ((إن التاريخ بالنسبة إلى أجيال ما بعد ثورة 1789 م لا يمكن إلا أن يكون أساسيا : مواجهة بين ما هو كائن و ما كان وبحث عن التعليلات و عن قوانين تجعل من هذه التحولات الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية الكبيرة شيئا غير الحوادث ، لكن الإمبراطورية ، ذلك الشكل المركزي و المشخص في السلطة ، هي التي ستصنع من المذكرات نوعا من ملاحم مرحلة تريد أن تكون جديدة و لا تنسى))35.

التسلسل الزمني للأحداث بين السيرة الذاتية للأمير (المذكرات) و تحفة الزائر.

نعني بالتسلسل الزمني للأحداث مدى التراتبية في رواية الأحداث ، التداخل الزمني و الانتقال من الحاضر إلى الماضي أو من الماضي القريب لإلى الماضي البعيد من خصائص فنية الرواية الحديثة و المعاصرة ، و إن لم يكن في العربية صيغ تفاضل بين الزمنين كما هو متواجد في اللغات الأوروبية مثلا ، إلا أننا نستشف ذلك من سياق الكلام و من عبارات دالة على ذلك و منها ظروف الزمان ، و مع ذلك يمكن أن نكتشف احترام التراتب الزمني في النص السيري سواء في السيرة الذاتية (المذكرات أم في السيرة الغيرية (التحفة) و أقترح أن يكون ذلك بشكل تفصيلي فيما يتعلق بالمباحث النصية ، ذات العلاقة الوطيدة بالسيرة ، و أن يكون بشكل عام فيما يتعلق بالمباحث الميتانصية .

ففي المذكرات كان الفصل الأول مزاوجا بين الإطارين الزماني و المكاني (بيئة أو فضاء الولادة و النشأة) ، و هو فصل في نسب الأمير ، تطرقت المذكرات إلى النسب(الزمن الماضي البعيد جدا أو السحيق) .بمعنى الأجداد ،فالموطن كدلالة على المزاوجة بين المكان و الزمان (الفضاء) ، فالتعريف بزاوية القيطنة لتحقيق النسبة المذهبية و العقائدية ، فالمولد و التعلم ، فالمشائخ .، و عليه كان التراتب محترما لأن الأجداد (الماضي سحيق) أسبق من الموطن و تكونه كقرية جزائرية و عربية و إسلامية من معسكر (الماضي البعيد)، و بلدة القيطنة في التكون أسبق من زاوية القيطنة ، و بعدها كان المولد أسبق من التعلم و من ذكر المشائخ ، و إن كان المشائخ أسبق ظهورا من صاحب السيرة و مع ذلك تأخر الحديث عنهم لأن صاحب السيرة في النص أهم من حيث الذكر من المشائخ و لذلك ألغت أهمية المترجم له زمنية المشائخ .

المباحث التالية ، و لأنها ميتانصية خرقت تماما التسلسل الزمني ، و رجعت إلى الماضي السحيق ، و هي الآراء الفقهية في ضرورة الإلتزام بمذهب فقهي واحد و التعريف بإمام دار الهجرة مالك بن أنس و بصفاته و خصاله .

ما يقال عن هذه المباحث يقال بشكل أعمق حول الفصل الثاني بأكمله لغوصه في الماضي السحيق جدا وذلك متعلق ببالنبي ص وبأجداده وبأصل العرب . و يلاحظ أن المباحث الميتانصية يكون الترتيب فيها من الحاضر إلى الماضي أو من الماضي القريب إلى الماضي البعيد ، أما المباحث النصية فعلى العكس من ذلك يكون تتتيب الأحداث فيها من الماضي القريب إلى الحاضر .بهذا الشكل:

حالة المباحث الميتانصية
إلى الماضي السحيق من الماضي البعيد

حالة المباحث السيرية
من الماضي القريب إلى الحاضر

و هو الأمر نفسه مع الفصل الثالث المتعلق بمباحث النبوة و الرسالة في الإسلام و منه انتقل إلى الحديث عن عيسى بن مريم عليه السلام .

فيما بعد سنلاحظ أن أن الفصلين الخامس و السادس و المتعلقين على التوالي بسجايا العرب و مكة و تاريخها من آدم عليه السلام إلى عبد المطلب جد النبي(ص) و بنسب الروم القيصرية من الحواريين إلى إبراهيم الخليل عليه السلام . و الحق أن في الفصل السادس خرق لما قررناه في الفصول الميتانصية أو الميتاسيرية من تراتبية زمنية عكس سيرورة الزمن ، فقد حافظ الفصل على ترتيب مباحثه من الماضي السحيق إلى الماضي البعيد ، أما الفصل السابع فالتذبذب عليه واضح في ترتيب الأزمنة أيما وضوح ، وتبقى الخاتمة التي لا يسري عليها هذا الحكم أيضا ، فهي تبدأ بعدد الشهور و السنين عند العرب بداية و تنتهي بعلامات قيام الساعة و منه فهي مرتبة من الماضي إلى المستقبل .

لا مجال هاهنا للتأويلات الباطنية فهذا ليس مجالها و لكن تراوح الترتيب من الماضي إلى الحاضر تارة و من الحاضر إلى الماضي تارة أخرى وبفائه في الخاتمة من الماضي إلى المستقبل تحديدا ليس بأمر جزافي في هذا النص الأميري .

الفصل الرابع المتعلق بكفاح الأمير عبد القادر يفترض أن يكون النص السيري قد احترم التسلسل الزمني بشكل يوافق إلى حد بعيد ما قرره التاريخ الحديث للدولة الجزائرية الحديثة بقيادة الأمير و لو على مستوى معسكر و الزمالة ، و توافق ما ذكره كل من شارل هنري تشرشل في " حياة الأمير عبد القادر " [36]بحسب ترجمة أبي القاسم سعد الله و برونو إتنين في " عبد القادر الجزائري "[37] ترجمة ميشال خوري ، إلا فيما يتعلق بمبحثين أشرنا إلى " ميتانصيتهما " أو" ميتاسيريتهما " و يتعلقان بطريفة قصة الشاعر الغزال بملك إسبانيا و لطيفة علاقة هذا الشاعر بزوجة الملك المذكور في صفحة 129 بحسب الطبعة التي يتم الاشتغال عليها .

ولكن ذلك ما لم يحدث ، لكأن النص الذي بين أيدينا نص فني يرقص على حبل التداخل الزمني كما هي الرواية اليوم ، وعليه فالتراتب متسلسل من الماضي القريب إلى الماضي الأقرب في بعد الأحيان و خارق لهذه التراتبية في أحايين كثيرة من المتن النصي للسيرة حتى في مباحث يفترض أنها نصية و سيرية مائة بالمائة .و لنأخذ على ذلك مثالا فقد بدأت رحلة الكفاح بالرحلة مع الوالد إلى الحج من ركوب البحر من تونس إلى القاهرة إلى جدة إلى المدينة ،... ثم انتقلت إلى ما سيأتي فيما بعد و لم يحن أوانه و هو فتنة عين ماضي و ما وقع للتيجاني بعد معاهدة التافنة ، كل هذا الكلام ذكره قبل معركة المقطع ؟؟؟ تكرار عبارات من مثل : (عودة) (الرجوع) استطراد) (رجع) (ولنرجع) دليل على عدم احترام التسلسل الزمني للأحداث في هذا النص السيري . والأمثلة كثيرة على هذا الانتقال الزمني المتراوح ، فبعد كل ما ذكرناه يبدأ البداية الرسمية في علاقته مع فرنسا في صفحة 138 من الكتاب منذ من كان قبله من أصحاب حادثة المروحة إلى دخول فرسا سيدي فرج إلى مبايعة أبيه و هو من بعده على الجزائر ، وهذا بعد أن تحدث ما شاء له الاستطراد أن يتحدث عن علاقته بجنرالات فرنسا حربا و هدنة .

بل نجد الأمير ينهي كلامه عن الرحلة الحجازية بزيارة بغداد مع الركب الشامي و تجنبه لبقية الطرق تجنبا لقطاع الطرق وينتقل إلى ثورة التيجاني على الباي حسن باي وهران من قبل الأتراك و أطال لأن الحادثة ستتكرر و لكن بين الأمير و أخ التيجاني في عين ماضي ، حيث الزاوية ، والأمير ينتقل من هذه الحادثة ، و إن لم يكملها باعترافه ، إلى معاركه مع الجنرالات و الماريشالات الفرنسيين ثم في صفحة 124 يتذكر أنه لم يكمل حديثه عن الرجوع من الحج و يبرر هذا بتنويع الموضوعات و الأساليب و إن كان يستخدم عبارات الفوت من مثل " و مع كوننا لم نتم قصته " و " و لا أكملنا كلامنا في شأن السفر الحجازي و ما آل إليه الأمر ، إلى أن وصل هذا السيد الرفيع البلاد " و يقصد أباه محي الدين و " و حقنا أن نذكر ذلك مفصلا مرتبا ، ليجري الكلام على سنن واحد ، لكن إنما غايرنا بين الأساليب و ارتكبنا هذا التركيب ، تلوينا لتحسين الكلام ، و انتقالا من مقام إلى مقام " ومن ثمة فهو لا سيرجع مرة أخرى إلى إتمام الرحلة الحجازية و لكن في صفحة 127 أي بعد قرابة عشرين (20) صفحة من الكتاب .و هذا دليل آخر على عدم احترام الأمير للترتيب الزمني بوعي و بقصد منه ، و الأجمل هو أن الأمير يؤرخ لكل حادثة ليس بشهر بعدها أو عشرين يوم و إنما بالتاريخ الهجري المضبوط باليوم و الشهر و السنة و بالمدة ، و ذلك على شكل حوصلات (خلاصات) لكل مرحلة من مراحل السفر يحصي مدتها من بداية الرحلة إلى نهايتها مدة كذا .

ضمن هذا الفصل نفسه و هو الفصل المتعلق بالكفاح ، و هو أكبر الفصول سيريا و نصيا ، حتى أنه أكبر حجما من فصل النشأة و التعليم ، نعثر على العديد من النصوص غير السيرية و التي تكون عادة في النصوص من باب الاستطراد الذي له منطقية التواجد إما عن طريق علاقات التشابه أو الاستشهاد أو التذكر أو التخيل أو المناسبة فكما قيل : " الشيء بالشيء يذكر " و هو ما سيفضي إلى صلة هذه النصوص الجزئية بأزمنة غي مرتبة و لا متسلسلة و لا مترابطة ، فتكون السيرة هاهنا أشبه بالعمل الروائي ولكن من غير تخطيط لسير الحكي ، و هو ما يعبر عن منطقية المناسبة لا منطقية الترتيب الزمني ، فنص من مثل النص المستخدم للتدليل على أنواع الرياح الأربع فالثمانية و استحضار نصوص من الهدي النبوي في الرياح من صحيح البخاري ، و مع الإيمان بانفتاح هذه النصوص زمنيا إلا أن الشحنات الدلالية التي تحتفظ بها و حتى الحمولات المعرفية و الثقافية تنتمي إلى ومن ليس هو بزمن حياة الأمير حتما ، و إنما هو زمن موغل في الماضوية و القدم .[38] و يمكن استحضار العديد من النصوص التي تعبر عن التداخل في الأزمنة عبر قنوات هذا الانتقال غير المنتظم المتعددة و أساليبه المختلفة .

في " تحفة الزائر " و في الجزء الأول منها (السيرة السيفية) كانت المداخل الكوزموغرافية لبلاد المغرب الإسلامي محترمة الترتيب الزمني من الماضي البعيد إلى الماضي القريب من تاريخ البربر إلى الفتح الإسلامي إلى مختلف الإمبراطوريات ثم الدويلات

التي حكمت المغرب الإسلامي ، وانتهاء بدولة آل عثمان ، ثم ما كان من بعض الثورات الشعبية على الإسبان و على آل عثمان ثم الاستيلاء الفرنسي على الجزائر العاصمة و هو ترتيب زمني تراتبي محترم ، و لكنه ميانصي خارج عن معطيات سيرة الأمير عبد القادر .

ما جاء بعدها من صميم محتويات السيرة الذاتية الكفاحية للأمير و هو من خلال استعماله لكلمة " ذكر " قد وجهته هذه الكلمة فيما هو سيري ّإلى ترتيب زمني دقيق جدا بحسب وقائع و معارك الأمير عبد القادر مع الجيش الفرنسي و مع غيره إلى الإنتهاء بواقعة بني عامر بفاس وما كان بعدها من وقائع بالمغرب الأقصى .

الجزء الثاني من التحفة و الذي تضمن السيرة القلمية للأمير عبد القادر أيضا احترم الأمير محمد تسلسل الأحداث في سيرة والده منذ ركوبه إلى فرنسا و بالضبط إلى طولوز و إلى استقراره في لومبواز و إلى انتقاله إلى دمشق و وفاته رحمة الله عليه .

الاستثناء الوحيد الذي فعله الأمير محمد ، و الذي خرق الترتيب الزمني لتسلسل الأحداث ليس هو خرق وسطي و إنما هو خرق من البداية ، فقد أرجأ الحديث عن نسب الأمير عبد القادر إلى الخاتمة و قصرها على ذكر النسب ، و كان من المفترض تبعا لقاعدة الانتقال من الماضي السحيق إلى الماضي البعيد و منه إلى الماضي القريب و لما لا إلى الحاضر إن كان قد كتب السيرة في حياة والده و حتى الانتقال إلى المستقبل فيما يتوقع أو يحلم به من أمر الوطن و مسيرة الكفاح .

خاتمة :

لقد خشيت أن تطول هذه المقالة حتى تخرج عن ما وضعت له كمقالة و إلا لتم الإكثار من الأمثلة فيما يتعلق بالعناصر التي طرقتها ، سواء عند الحديث عن طبيعة المحتوى في المذكرات و في السيرة أم أثناء الحديث عن حجم هذا المحتوى في النصين أم أثناء الحديث عن التسلسل الزمني في سرد الأحداث وفق منطق السرد المتتابع و المتسلسل ، مع العلم أن المنطقية قد تدرك بالتناسب في السرد و إن اختلطت الأزمنة في سياق النص الفني السردي كالرواية و لما لا السيرة بنوعيها أو بأنواعها .

و عليه ، فقد آثرت أن يكون ختام الحديث في هذا العرض على شكل موازنة ، ليس بين التحفة و المذكرات كما قد حُبكت عليه خيوط البحث ، و إنما بين هذه السيرة الثنائية (التحفة و المذكرات) من جهة وبين الموروث السيري الأدبي عند العرب في مراحل متأخرة من ثقافة هذه الأمة و تبلور أدواتها الفنية و هي تصوغ أجناسها الأدبية ، و هو ما لم نره لا في سير و مغازي الأولين و على رأسها سيرة النبي (ص) لابن إسحاق أو لابن هشام أو للسيوطي و لا حتى السير الأسطورية لعنترة بن شداد ولسيف بن دي يزن و لصلاح الدين الأيوبي و لا لبني هلال ... الخ .و إنما في سيرة لرجل شديد الشبه في مساره السيفي و القلمي بالأمير عبد القادر و هو ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب ، مع الفارق في جدلية الأنا و الآخر فشتان بين المرابطين و بين الفرنسيين ، و هو ما تمثلناه لإجراء مسح وفق آليات موازنة أو مقارنة عامة .

انطلاقا من هذا ،و على العموم ،لعل الطابع العام لمسيرة فن السيرة عند العرب في المراحل المتأخرة من الثقافة العربية أنها لا تنفك تؤكد علاقتها بالكوزموغرافيا ، و لذلك يتكرر الأمر الذي حدث مع كتاب لطالما وسم بأنه موسوعة " نفح الطيب من غصن الأندلس الخصيب و ذكر وزيره لسان الدين بن الخطيب " للمقري التلمساني- ولدينا فيه مذهب خاص و متواضع ليس هذا مجاله ، ولكن ملخصه أن هذا الكتاب كتاب سيرة وليس هو بموسوعة و لا بتاريخ - [39] ، و لعل وجه الشبه و التكرار الحاصل في هذين الجزئين من " النفح " يحدث مع " تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر " للأمير محمد بن الأمير عبد القادر ، ولاسيما في ذلك الباب التمهيدي الكوزموغرافي أو المدخل التاريخي والجغرافي الذي طال حتى كاد أن يصبح كتابا بعينه،

هو هاهنا المغرب و الجزائر في حال " التحفة " و هو المبحث الذي عبر عنه صاحب السيرة " التحفة " بعنوان " المقدمة في ذكر جغرافية أقسام المغرب " و ما تلاه من فصول حتى بلغ الثمانين صفحة من الجزء الأول من الطبعة التي بين أيدينا ، و التي تنتهي بعنوان هو " تسلط الفرنسيين على مدينة الجزائر " مما يعطي الطابع التقليدي لكتاب السير و التراجم العرب القدماء في تحفة الزائر، و هو ما لم نجده في مذكرات الأمير عبد القادر فالمعلوم أن للأمير في مجال النثر الأدبي أو السيرة الأدبية الذاتية " المذكرات " و لكن وسيني الأعرج في روايته " كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد " يخبرنا بأنه قد أملى سيرته الذاتية على أحد معاونيه ، و أغلب الظن أنها المذكرات ، غير أن تحفة الزائر لابنه محمد ، كما يشير إلى ذلك المهتمون بتراث الأمير و يؤكد ذلك أبو القاسم سعد الله، هل يجوز لنا بعض التمحل للقول أن صلة محمد بالأمير و هو ابنه تكاد تجعل من هذه السيرة الغيرية كأنها سيرة ذاتية للقداسة والعلاقة الروحية التي يشكلها الوالد لولده ؟؟ ربما .. و لكن و على كل حال هي في أسوء حالاتها لن تكون كسيرة ميخائيل نعيمة لصديقه جبران خليل جبران في سيرورة الأدب العربي النثري الحديث و في فن السيرة تحديدا .و المجال هنا هو مجال حدود الموضوعية و الرؤية و درجة التبئير فيها بالنسبة لولد مع والده . و هو ما يعزز الموقف بالاختلاط بين السيرة الذاتية و السيرة الغيرية مع ما عرف به تاريخ الأدب العربي في ميدان فن السيرة و الترجمة و الوفيات و الرحلات والمذكرات و الاعترافات غيرها منذ سيرة النبي ص لابن إسحاق .

مذكرات الأمير عبد القادر التي تعنينا هنا أكثر حتى من تحفة الزائر كأنما هي مسودة أملاها الأمير في عجلة من أمره أو في سباق مع الذاكرة مع الأمل في العودة إليها و تنقيحها و تصحيحها ، و إلا فما العلة في استخدام النظم العربي للكلام و تركيبه و هو نظم صحيح نحويا و بلاغيا و من جهة أخرى عج النص السيري بالألفاظ العامية ليس لأنها تعبر عن أسماء أو مصطلحات بل حتى بألفاظ لها بدائل فصيحة و مع ذلك يستخدم الأمير الألفاظ العامية الدارجة و المنقولة حتى عن الفرنسية .

ملاحظة أخرى و هي التعبير بضمير الغائب في المذكرات يعطي الانطباع في الاشتراك في كتابة السيرة بين الأمير و من أمليت عليه إذ سُمح له بإضافة بعض الأحداث ، و لا يستبعد أن يكون الكاتب الذي أمليت عليه هو صهره ابن التهامي الذي لم يفارقه في معاركه ، فهو حاضر وشاهد و يمكن أن يضيف ما نسيه الأمير أو غفل عنه ، و بالذات في فصل الكفاح لأن ضمير الغائب وهو يقصد الأمير يقل في بقية الفصول والمباحث ويكثر في فصل الكفاح بشكل ملفت مما يعبر عن سماح الأمير لابن التهامي بالإضافة و المشاركة .

قائمة المصادر و المراجع

1 – عبد العزيز شويط : الحدود الفاصلة بين النص التاريخي و السيرة عند المقري التلمساني (دراسة في مبدأي الموافقة و التوفيق في نفح الطيب) مجلة آفاق الثقافة و التراث ، عدد 75 سبتمبر أيلول 2011 ، مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث ، دبي ، الإمارات العربية المتحدة .

2 – عبد العزيز شويط : أدب التراجم و السير في الجزائر بين الحقيقة التاريخية و أدبية الأدب ، مجلة عيدان الخيل للثقافة و الآداب و العلوم ، الشارقة الإمارات ، عدد 01 ، دراسة في "كتاب" الوفيات لابن قنفذ القسنطيني (النثر).

3 – ابن منظور الإفريقي : لسان العرب ، دار المعارف مصر ، د ط ، د ت .

4 – الفيروزبادي : القاموس المحيط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة مصر ، د ط ، 1978 .

5 – جبور عبد النور : المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، ط 02 ، 1984 .

6 – مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، إخراج إبراهيم مصطفى و آخرون ، دار العودة ، مصر ، د ط ، د ت .

8 – بول آرون ، دينيس سان جاك ، آلان جيالا : معجم المصطلحات الأدبية ، ترجمة : د محمد حمود ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع مجد ، بيروت لبنان ، ط 01 ، 2012 .

9 – هتشنسون : معجم الأفكار و الأعلام ، ترجمة خليل راشد الجيوسي ، دار الفارابي بيروت لبنان ، ط 01 ، 2007 .

10 – ابراهيم فتحي : معجم المصطلحات الأدبية ، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ، سفاقص تونس ، د ط 1986 .

11 – شوقي ضيف : الترجمة الشخصية ، دار المعارف مصر ، ط 04 ، د ت .

12 – نخبة من الأساتذة:الأدب والأنواع الأدبية،ترجمة طاهر حجار،دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، دمشق سورية ،ط 01 ، 1985 .

11– فدوى مالطي دوجلاس: بناء النص التراثي ، دراسات في الأدب و التراجم ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة مصر،د ط ، 1985 .

12 – فيليب لوجون : السيرة الذاتية : التاريخ و الميثاق الأدبي ، ترجمة و تقديم عمر حلي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان ، الدار البيضاء المغرب الأقصى ، ط 01 ، 1994 .

13 – محمد صابر عبيد: تمظهرات التشكّل السير ذاتي قراءة في تجربة محمد القيسي السير ذاتيّة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق سورية، د ط ، 2005 .

14 – إحسان عباس ، فن السيرة ، دار الثقافة ، بيروت لبنان ، ط 04 ، 1978 .

15 – الأمير عبد القادر الجزائري : الديوان ، جمع و تحقيق وشرح و تقديم ، العربي دحو ، منشورات تالة الجزائر ، ط 03 ، 2007 . (مقاربة شريبط احمد شريبط للديوان)

16 – جان ماري شيفير : ما الجنس الأدبي ، ترجمة غسان السيد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سورية ، د ط،د ت .

17 – محمد الباردي:عندما تتكلم الذات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق سورية،د ط ، 2005 .

18 – ندى محمود مصطفى الشيب : فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني بين 1992– 2002 ، رسالة ماجستير ، إشراف الأستاذ الدكتور عادل أبو عمشة ، جامعة النجاح الوطنية غزة فلسطين ، 2006 .

19 – عبد العزيز شرف : أدب السيرة الذاتية ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، مصر ، مكتبة لبنان ، د ط ، 1998 .

20 – قماني عبد الفتاح شاكر : السيرة الذاتية في الأدب العربي ، فدوى طوقان و جبرا ابراهيم جبرا و إحسان عباس ، نموذجا ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت لبنان ، ط 01 ، 2002 .

21– الأمير عبد القادر : مذكرات الأمير عبد القادر ، تحقيق محمد الصغير بناني و آخران ، شركة دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع (طبعة خاصة بوزارة المجاهدين بمناسبة الذكرى الخامسة و الأربعين لعيد الاستقلال و الشباب) د ط ، 2008 .

22– شارل هنري تشرشل :حياة الأمير عبد القادر ، ترجمة أبي القاسم سعد الله ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، د ط ، د ت .

23– برونو إتنين : عبد القادر الجزائري ، ترجمة ميشال خوري، دار عطية ، بيروت لبنان ، ط 01 ، 1997 .

24– الأمير محمد بن الأمير عبد القادر ، كتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر ، المطبعة التجارية ، الاسكندرية مصر ، د ط ، 1903 ، ج 1 و 2 .

25- محمد الطيب العلوي:مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة نوفمبر 1954 ،دار البعث للطباعة و النشر ، قسنطينة الجزائر ، ط 01 ، 1985 .

26- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي 1830 – 1954 دار البصائر ، الجزائر ، ط 06، 2009 ، ج 05 .

27 – محمد القاضي و آخرون : معجم السرديات ، دار محمد علي للنشر تونس ، دار الفارابي لبنان ، مؤسسة الانتشار العربي لبنان ، دار تالة الجزائر ، دار العين مصر ، دار الملتقى المغرب ، ط 01 ، 2010 .

28- عبد العزيز شويط : تجليات الذوق الفني ، و مظاهر الوعي النقدي في أدب التراجم و السير من خلال كتاب عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية للقاضي أبي العباس الغبريني مجلة آفاق الثقافة و التراث ، عدد 82 جوان حزيران 2013 ، مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث ، دبي ، الإمارات العربية المتحدة .

الهوامش:

1. 1- ابن منظور الإفريقي:لسان العرب،دار المعارف مصر ، د ط ، د ت ، مادة : سير ، ج 23 ، ص : 2169 ، 2170 .
2. 1- الفيروزبادي : القاموس المحيط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة مصر ، د ط ، 1978 ، مادة السير ج 02 ص : 53 .
3. 1- جبور عبد النور : المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، ط 02 ، 1984 ، ص : 143 .
4. 1- مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، إخراج إبراهيم مصطفى و آخرون ، دار العودة ، مصر ، د ط ، د ت ، ص : 455 .
5. 1- شوقي ضيف : الترجمة الشخصية ، دار المعارف مصر ، ط 04 ، د ت ، ص : 52 .
6. 1- ندى محمود مصطفى الشيب : فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني بين 1992- 2002 ، رسالة ماجستير ، إشراف الأستاذ الدكتور عادل أبو عمشة ، جامعة النجاح الوطنية غزة فلسطين ، 2006 ، ص: 07 .
7. 1- بول آرون ، دينيس سان جاك ، آلان جيالا : معجم المصطلحات الأدبية ، ترجمة : د محمد حمود ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع مجد ، بيروت لبنان ، ط 01 ، 2012 ، ص 626 .
8. 1 – ((يشير مصطلح " كتابة الأنا " إلى جنس جامع لضروب من الكتابة السردية تتخذ ذات المؤلف مدارا لها و تقوم على التطابق الصريح بين أعوان السرد الثلاثة : المؤلف و الراوي و الشخصية . و تعد السيرة الذاتية و اليوميات الخاصة و الاعترافات و الرسم الذاتي و المذكرات من أشهر كتابات الأنا ، . فهذه الأشكال من الكتابة و إن اختلفت فيما بينها و تنوع توظيفها تقنيات السرد ' فإنها تلتقي في اعتماد حياة المؤلف مصدرا للكتابة و مادة لها و موضوعا . و ذلك بقص سيرته أو تسجيل ما يجري له من وقائع يوما بيوم ، أو عرض ملامحه النفسية و الجسدية أو استحضار ذكرياته عن الناس و العصر " ينظر ّ: محمد القاضي و آخرون : معجم السرديات ، دار محمد علي للنشر تونس ، دار الفارابي لبنان ، مؤسسة الانتشار العربي لبنان ، دار تالة الجزائر ، دار العين مصر ، دار الملتقى المغرب ، ط 01 ، 2010 ، ص : 354 .
9. 1 – ابراهيم فتحي : معجم المصطلحات الأدبية ، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ، سفاقص تونس ، د ط 1986 ، ص : 202 .
10. 1- محمد الباردي:عندما تتكلم الذات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث،منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق سورية ،د ط، 2005 ،ص: 181 ، 182 .
11. 1 – بول آرون ، دينيس سان جاك ، آلان جيالا : معجم المصطلحات الأدبية ، مرجع سابق ، ص 624 .
12. 1- هتشنسون : معجم الأفكار و الأعلام ، ترجمة خليل راشد الجيوسي ، دار الفارابي بيروت لبنان ، ط 01 ، 2007 ، ص: 269 .
13. 1- فيليب لوجون : السيرة الذاتية : التاريخ و الميثاق الأدبي ، ترجمة و تقديم عمر حلي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان ، الدار البيضاء المغرب الأقصى ، ط 01 ، 1994 ، ص : 21 ، 22 .
14. 1- جان ماري شيفير : ما الجنس الأدبي ، ترجمة غسان السيد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق سورية ، د ط ، د ت ، ص : 72 .
15. 1- فيليب لوجون : السيرة الذاتية : التاريخ و الميثاق الأدبي ، مرجع سابق ، ص : 10 .
16. 1- بول آرون ، دينيس سان جاك ، آلان جيالا : معجم المصطلحات الأدبية ، مرجع سابق ، ص 627 .

17. 1- ينظر القول : ((و كتابة المذكرات نشأت في أوروبا قبل أن تنتشر في مختلف الآداب ، إذ منذ أواخر القرن 15 ظهرت مذكرات أعلام من وزراء و قادة جيوش و أشخاص مقربين من الملوك أو صانعي القرار تروي تفاصيل فترة تاريخية عاشها الكاتب بأحداثها و أسرارها و حوافّ قراراتها السياسية أو العسكرية و تقلباتها المختلفة ... و كثيرا ما يقع الخلط بين المذكرات و السيرة الذاتية التي تُجعل فيها الذات الكاتبة نفسها موضوعا للكتابة ، و تتحدث عن التاريخ و منه تاريخها الخاص)) محمد القاضي و آخرون : معجم السرديات ، دار محمد علي للنشر تونس ، دار الفارابي لبنان ، مؤسسة الانتشار العربي لبنان ، دار تالة الجزائر ، دار العين مصر ، دار الملتقى المغرب ، ط 01 ، 2010 ، ص : 380 .
18. 1- ((و نستطيع أن نلاحظ أن تعريفات هذه الأشكال أيضا لا تحتوي على تعريف جامع مانع للسيرة الذاتية ، لأننا لا نستطيع أن نعد كل عمل يجمع بين التحري التاريخي ، و الإمتاع القصصي سيرة ذاتية ، فالتاريخ نفسه في بعض الحالات ، حين يصوغه ((و مع ذلك سعى منظرو الأدب إلى رسم هذه الحدود الفاصلة بين السّيرة الذّاتيّة والأجناس السرديّة القريبة منها ولعلّ أوشج هذه الأجناس قربي ما يعرف بالمذكّرات فكثيرا ما استعمل هذا المصطلح بمعنى السّيرة الذّاتيّة وكثيرا ما وشّحت كتب السّيرة الذّاتيّة بعبارة "مذكّرات" وبها تعقد مع المتلقّي ميثاق قراءة ولكنّه ميثاق زائف لأنّ الحدّ الفاصل بين السّيرة الذّاتيّة والمذكرات قائم. فالسّيرة الذّاتيّة، على خلاف المذكّرات تروي أحداثا شخصيّة وتنأى عن سرد الأحداث العامّة في حين تركّز المذكّرات عادة على تدوين الأحداث دون التّعليق على الحياة الشّخصيّة لكاتب المذكّرات.و يتّخذ التّعامل مع الزّمن المروي معيارا للفصل بين السّيرة الذّاتيّة واليوميّات. فالسّيرة الذّاتيّة وهي أعرق من اليوميّات الخاصّة ترتبط أحيانا كثيرة بفترة محدودة من حياة الكاتب في حين تتّصل اليوميّات الخاصّة بالماضي القريب. ولئن سلك الجنسان اتّجاها زمنيّا واحدا ينطلقان من الحاضر إلى الماضي ومن لحظة الكتابة إلى لحظة التّجربة فإنّ المساحة الزّمنيّة الّتي تفصل بين زمن الكتابة وزمن التّجربة تكون في السّيرة الذّاتيّة أوسع منها في اليوميّات. كما يعدّ التّعامل مع المرجع وجها من وجوه الاختلاف بين الجنسين الأدبيين، فالإحالة المرجعيّة في اليوميّات تمتاز بالدقّة نظرا لقرب لحظة التّدوين من لحظة التّجربة في حين تتعرّض الإحالة المرجعيّة في السّيرة الذّاتيّة إلى ضرب من التّشويش والاضطراب فلا سلاح لكاتب السّيرة الذّاتيّة سوى ذاكرته والذّاكرة معرّضة لآفة النّسيان وهو "غربال لا يمرّ من ثقوبه إلاّ ما هو جوهريّ" على حدّ عبارة جوليان قرين (Julien Grean).
19. و تختلف السّيرة الذّاتيّة عن السّيرة في أكثر من وجه. فموضوع السّيرة الذّاتيّة وكاتبها لا يزال على قيد الحياة يظلّ مطروحا في حين يحسم كاتب السّيرة في موضوعه ويقول الكلمة الفصل كما تتّسم كتابة السّيرة بنزعة تاريخيّة لا تخلو من موضوعيّة لأنّ المواد الّتي يستعملها كاتب السّيرة شأنها شأن المواد الّتي يستعملها المؤرّخ منفصلة عن الذّات الكاتبة في حين يمتح كاتب السّيرة الذّاتية من ينبوعه الذّاتي والشّخصي المتمثّل في ذكرياته الخاصة فتجيء الكتابة مغرقة في "الأنا" سابحة في الذّات لا معيار موضوعيّا للنّظر في مصداقيّتها وصحّتها وذلك لاختلاف الغاية الّتي يسعى كلا الجنسين الأدبيين إلى تحقيقها. فإذا كان كاتب السّيرة الذّاتيّة يرغب في الانتصار على الموت إذ هو يسعى إلى توثيق حياته الماضية وإخراجها من الإهمال والنّسيان، فإن كاتب السّيرة يؤكّد فعلا أنّه استطاع أن يغلب الموت، فهو عندما يدوّن حياة شخصيّة أدبيّة أو فكريّة أو سياسيّة يقدّم الدّليل القاطع على أنّ ذكرى تلك الحياة الّتي عاشها قد استمرّت بعد فناء الجسد، إضافة إلى أنّ كاتب السّيرة وهو يكتب سيرته يظلّ منسجما انسجاما فكريّا كاملا إذ لا يعيش الإشكاليّة الزّمنيّة الحادّة الّتي يتعرّض لها كاتب السّيرة الذّاتيّة، ذلك أنّ كاتب السّيرة الذّاتيّة وهو يكتب يظلّ يسبح عكس مجرى حياته إذ يعود إلى الماضي البعيد وأمواج الحاضر المتلاطمة تعترض سبيله في حين يظلّ كاتب السّيرة قادرا على ترتيب حياة صاحب السّيرة ويخضعها لمعايير موضوعيّة تفصل بين المراحل وتزيح المواجهة بين الماضي والحاضر.
20. و تظلّ العلاقة بين السّيرة الذّاتيّة والرّواية أكثر التباسا فكثيرا ما ننظر إلى الرّواية على أنّها في وجه من وجوهها جنس سير ذاتيّ. وظهرت أجناس وسيطة بين الرّواية والسّيرة الذّاتيّة شأن رواية السّيرة الذّاتيّة roman autobiographique والسّيرة الذّاتيّة الرّوائيّة auto romanciée biographie والسّيرة الذّاتيّة ذات الاسم المستعار وهي جميعها توظّف أساليب سرديّة متشابهة سعى منظّرو الأدب إلى البحث عن الحدود الفاصلة للتّمييز بينها. ويظلّ ميثاق القراءة المعيار الأساسي للتّمييز بين الرّواية والسّيرة الذّاتيّة))1 ينظر محمد الباردي :عندما تتكلم الذات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، مرجع سابق ،ص : 09، 10.
21. 1- نهاني عبد الفتاح شاكر : السيرة الذاتية في الأدب العربي ، فدوى طوقان و جبرا ابراهيم جبرا و إحسان عباس ، نموذجا ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت لبنان ، ط 01 ، 2002 ، ص : 14 .
22. 1- نخبة من الأساتذة:الأدب و الأنواع الأدبية ،ترجمة طاهر حجار ،دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ،دمشق سورية ،ط 01 ، 1985 ،ص : 233 ، 234 .

23. 1- محمد صابر عبيد:تمظهرات التشكّل السير ذاتي قراءة في تجربة محمد القيسي السير ذاتيّة،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق سورية،د ط، 2005 ،ص: 150.
24. 1- عبد العزيز شرف:أدب السيرة الذاتية ،الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ،مصر ، مكتبة لبنان ، د ط ، 1998 ، ص : 05 ، 06 .
25. 1- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي 1830 – 1954 دار البصائر ، الجزائر ، ط 06، 2009 ، ج 05 .
26. 1 - شوقي ضيف : الترجمة الشخصية ، دار المعارف مصر ، ط 04 ، د ت ، ص : 60 .
27. 1- الأمير عبد القادر : مذكرات الأمير عبد القادر ، ص 106 الهامش .
28. 1- محمد الطيب العلوي : مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة نوفمبر 1954 ، دار البعث للطباعة و النشر ، قسنطينة الجزائر ، ط 01 ، 1985 ، ص : 34 – 47 .
29. 1- فيليب لوجون : السيرة الذاتية : التاريخ و الميثاق الأدبي ، مرجع سابق ، ص : 93 .
30. 1- الأمير عبد القادر : مذكرات الأمير عبد القادر ، تحقيق محمد الصغير بناني و آخران ، شركة دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع (طبعة خاصة بوزارة المجاهدين بمناسبة الذكرى الخامسة و الأربعين لعيد الاستقلال و الشباب) د ط ، 2008 .
31. 1- الأمير محمد بن الأمير عبد القادر ، كتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر ، المطبعة التجارية،الاسكندرية مصر، د ط ، 1903 ،ج 1 و 2.
32. 1- الأمير عبد القادر الجزائري : الديوان ، جمع و تحقيق وشرح و تقديم ، العربي دحو ، منشورات تالة الجزائر ، ط 03 ، 2007 ، ص : 15 (مقاربة الأستاذ شريبط احمد شريبط للديوان).
33. 1- جان ماري شيفير : ما الجنس الأدبي ، مرجع سابق ،ص : 75 .
34. 1- ثماني عبد الفتاح شاكر : السيرة الذاتية في الأدب العربي ، مرجع سابق ، ص : 12 .
35. 1 - إحسان عباس ، فن السيرة ، دار الثقافة ، بيروت لبنان ، ط 04 ، 1978 ، ، ص : 37، 38 .
36. 1- فدوى مالطي دوجلاس:بناء النص التراثي،دراسات في الأدب والتراجم،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة مصر،د ط، 1985،ص: 123.
37. 1- نخبة من الأساتذة : الأدب و الأنواع الأدبية ، مرجع سابق ، ص : 237 .
38. 1- شارل هنري تشرشل :حياة الأمير عبد القادر ، ترجمة أبي القاسم سعد الله ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، د ط ، د ت .
39. 1- برونو إتنين : عبد القادر الجزائري ، ترجمة ميشال خوري، دار عطية ، بيروت لبنان ، ط 01 ، 1997 .
40. 1- الأمير عبد القادر : مذكرات الأمير عبد القادر، ص : 108 ، 109 .
41. 1- ينظر عبد العزيز شويط : الحدود الفاصلة بين النص التاريخي و السيرة عند المقري التلمساني (دراسة في مبدأي الموافقة و التوفيق في نفح الطيب) مجلة آفاق الثقافة و التراث ، عدد 75 سبتمبر أيلول 2011 ، مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث ، دبي ، الإمارات ص 106 و ما بعدها .